

المقامة البوفيهية

بيرم التونسي (١٨٩٣ - ١٩٦١م)

فلما قطعنا المشوار، ودخلنا الدار.. وجدتُ الدارَ
شامخة.. والحفلة باذخة.. فيها من الوزراء مَنْ سَبَق..
ومن الكبراء من التحق..

فقلت: أين العريسُ الموعود؟

قالوا: هو ذا موجود.. وها هم أولاء الشهود.

فاستفتحت الخطبة بالحمد والثناء.. ودعوتُ لهم بالبنين
والرِّفَاء^(١).. ثم رأيتُ القومَ ينهضون جميعاً.. ويخرجون
سريعا.

إلى أين؟

قال العريس: إلى البُوفيه.. وقم معي لأدُلَّكَ عَلَيْهِ.

فتركتُ الدفتر.. ومشيتُ خلفه أتعَثِّر.. حتى وصلنا إلى
البُوفيه الذي قال عليه.. فإذا مائدة كأنها سماطُ
المُجَّاج.. وعليها الخرافُ والأسماكُ والدجاجُ.. بل وعليها
ألوانٌ وأنواعٌ.. لم يبلِّغني خبرُها بالنظر ولا بالسمع.

ولكنني أشهدُ الله.. الذي لا إلهَ سواه.. أنَّ الموائدَ امتحانُ
لا غشٍّ فيه.. وأنها تُميِّزُ النبيلَ من السفیه..

حدثنا عمر بن جعران قال: من عادتي أن أتناول
العشاء.. بين المغرب والعشاء.

فلما وضعنا الطليئة.. وغرَفنا الملوخية.. وراقَ الجو
وطاب.. دَقَّ الباب؛ ففتحت. فلقيتُ شاباً في بذلةٍ سوداء..
ورأيتُ على الباب سيارةً في غاية البهاء.

فقال الفتى: أهذا منزلُ ابن جعران المأذون؟

قلت: هكذا يزعمون.

قال: أسرعْ بدفترك.. وشرَّفنا بمحضرِك.. لتعقدَ قرانَ
بنِ المرعشلي باشا.. على عصمت بك اليوز باشا.

قال ابن جعران: فأخذني الانبهار.. وصحت: يا أهلَ
الدار! عندكم الملوخية؛ فكلوها.. وقطعة الأرنب؛
فانهشوها.. واقذِفُوا لي بالجبة. فقذفوها.. وانطلقت بنا
السيارة.. كأنها طيارة.. فقلت للفتى:

أرفقُ بها في السير والتقدم
وأمشِ الهويني في الطريق المظلم
لا تُبدِلَنَّ أفرأحنا بمأتم

فالموائد تُبَيِّنُ الأشراف من الأجلاف.. وعليها تُصَدِّرُ
حُكْمَكَ على الناس بلا استئناف.

هؤلاء الجالسون من الأعيان.. الواحد منهم كأنه هامان..
أو قيصر الرومان: الكلامُ مِنَ الأنف^(٢).. والإشارةُ من
الطرف.. وقفوا على البوفيه وكأنهم الجيش الأحمر.. أو
عربية المَجْر.. وتقدَّم كلُّ واحدٍ منهم وشمرَّ.

إبراهيم بك سعد مأمور قسم سابقاً:

حشا شدقه لحماً وشدقاً كذافاً
وفي يده القاروص، والكيك في الأخرى

وعثمان بك السيد موظف بالأوقاف:

رأى الأكل بالسكين ليس بمُسْعِفٍ
فأعمَل مله وفاقاً أصابعه العشرة

ومتولي باشا غانم بالمشايخ:

تَوَقَّفَ قَدَامَ الدجاجة حائراً
أَيُّطَبِّقُ في الوركين أم يَنْهَشُ الصدر؟!

ونجيب باشا المهندس:

تَنَاولَ مَوْزاً، ثم فجلاً.. وبَسْطَةً
ولحماً وسردنياً، كذا (جِبْنَةً) حمراً

وشعبان أفندي الدهشان من ذوي الأملاك:

لو أن الذي أَصْفَاهُ^(٣) جِيءَ بِنِصْفِهِ
إلى ملجأ الأيتام أَشَبَّعَهُمْ شهراً

وذهنى أفندي رئيس قلم الطرود:

رأى نِصْفَ ديكٍ فانتشى بجريدةٍ
وَلَفَّ، وقال: الطَّرْدُ لابنتي الصغرى

وشافعي باشا القاضي:

على شِدْقِهِ سأل الإدَامُ وصدره
على أَنَّهُ -واللَّهِ- أَرْفَعُهُمْ قَدْرًا

وسليم باشا مفتش الري:

يَمُدُّ إِلَى الأوزي كَفًّا كَانَهَا
بَرَائِثُنْ ضَرْغَامٍ، ولكنها أضـرَى

والعبد الفقير:

وقفتُ وَصُنْتُ النفسَ. واللَّهُ مَخْلُفٌ
على مَنْ يَصُونُ النفسَ أو يَحْسِنُ الصَّبْرَ

ما هكذا كانت ولائنا في الأفراح.. ولا مآكلنا في
الأتراح.. ولعنةُ اللَّهِ على البوفيه القبيح.. الذي يُعَلِّمُ
التَّشْبِيح.. والسَّطْو الصريح.

قال ابن جعران:

وأقبل العريس.. يَخْتَالُ ويميس.. فرأى يَدِي نظيفة..
ومشيتي خفيفة.. فقال لي: هل أَكَلْتُ؟ فقلتُ:

جِئْتُ بي إلى العَشا وَسَطَ حفلٍ وموكِبٍ

فقال: ولم لا تأكل؟ فقلتُ:

لَمْ أَزُودْ بِسَاعِدٍ مِنْ حديدٍ وَمَنْكَبٍ

فألقي نظرةً إلى أولئك الغنم.. وابتسم.. ثم قال:
اتبِعْني.. فسرتُ خَلْفَهُ يَعْنِي.. حتى دخلنا على الطَّبَّاح..
فقال له: ما عندك من الفِراخ؟

قال: دجاجتان من الفيومي.. وديكٌ رومي.

فقال: ضَعُها في صِينِيَّة.. مع بعض الكِنَافَةِ والمُهَلَّبِيَّة..
وابْعَثْها إلى دار الأستاذ مع الخَادِم.. ليأكلَ هو والهانم.

وهكذا ينصرُ اللَّهُ الصابرين.. ولو بعد حين.